

ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ ١١/١٠/٢٠٢٤

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

لا يزال الحديث جارياً عن غزوة الأحزاب. حيث كان الكفار قد أدخلوا ساحة المعركة جراء الريح العاصفة والسيول. فأجلى الله تعالى جنود الأحزاب قال رسول الله ﷺ: "الآن نغزوهم ولا يغزوننا". وهذا ما حدث تماماً، إذ لم تجرؤ قريش بعد ذلك على شن الغارة على المسلمين حتى فتحت مكة على يد النبي ﷺ. يقال إن حصار الخندق دام عشرين يوماً، وقيل ثلاثة أسابيع، وقيل قرابة شهر.

واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق تسعة أفراد، وقتل من المشركين ثلاثة. كانت لغزوة الأحزاب نهاية إعجازية، حيث انتهت بشكل غير متوقع ومفاجئ، حرباً خطيرة للغاية. لم يحل بالمسلمين مصيبة مفاجئة أشد منها حتى ذلك الوقت، حيث ظلت الآلاف من الوحوش الضارية تحاصر منازلهم وتجعل حياتهم مريرة. وضاعفت خيانة بني قريظة مرارة هذه المحنة. وكان وراء هذه الفتنة أولئك اليهود الناكرون للجميل من بني النضير الذين أذن لهم النبي ﷺ بالخروج من المدينة بأمان. كان تحريض هؤلاء الزعماء اليهود هو ما جعل جميع القبائل الكبيرة في صحراء العرب تجتمع في المدينة، نشوانين بعداوة الإسلام، لسحق المسلمين كلية.

وكان من المؤكد تماماً أنه لو تمكن هؤلاء الوحوش من دخول المدينة عندها، لما بقي مسلم واحد على قيد الحياة، ولما نجح عرض أي امرأة مسلمة عفيفة طاهرة من هجماتهم الدنسة. لكن فضل الله ويده الغيبية القادرة هي التي جعلت هذا الجيش العرمرم يعود خائباً خاسراً. ورجع المسلمون إلى منازلهم يتنفسون الصعداء بأمان وطمأنينة، حامدين وشاكرين لله تعالى.

كان خطر بني قريظة لا يزال قائماً كما هو، وكان لا بد من القضاء على فتنتهم في كل حال، وللقضاء على هذه الفتنة، اتخذ ضد بني قريظة أيضاً إجراءً سمي غزوة بني قريظة، وذلك في شهر ذي القعدة العام الخامس الهجري، الموافق لشهر مارس أو إبريل عام ٦٢٧ الميلادي. وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

خلفية غزوة بني قريظة : عندما عاد رسول الله ﷺ بعد الانتهاء من غزوة الخندق، وضع هو والصحابة أسلحتهم. دخل النبي ﷺ بيت السيدة عائشة، وطلب ماءً وبدأ يغسل رأسه.

تقول السيدة عائشة: سلم علينا رجل ونحن في البيت. ثم نادى، فذهب رسول الله ﷺ إليه بسرعة وأنا أنظر من بين الباب. قال الرجل: "يا رسول الله، لقد وضعت السلاح. والله ما وضعنا السلاح". قال إن الملائكة

لم تضع السلاح حتى وصلنا إلى حمراء الأسد وهزمهم الله. الآن توجهوا إلى هناك. فسأل النبي ﷺ: "إلى أين؟" فأشار إلى بني قريظة.

وعندما سألت السيدة عائشة من كان ذلك الرجل؟ فقال ﷺ: "ذلك كان جبريل، يخبرني أن أذهب إلى بني قريظة."

أعلن رسول الله ﷺ على الفور أن يتوجهوا إلى بني قريظة وأن يصلوا العصر هناك. فور سماع الإعلان، خرج الصحابة بسرعة. عندما حان وقت صلاة العصر في الطريق وكاد وقت الصلاة يفوت، فكر بعض الصحابة أنه يجب الصلاة قبل فوات الوقت فصلوا. وقال البعض الآخر أنه بما أن النبي ﷺ قال أن نصلي العصر في بني قريظة، فسنصلي هناك حتى لو فات الوقت. ولم يقل رسول الله ﷺ شيئاً للمجموعتين. ثم دعا رسول الله ﷺ علياً وأعطاه راية الجيش السوداء المسماة "العقاب".

كان علي قد وصل بالفعل إلى بني قريظة مع مجموعة من المهاجرين والأنصار، ثم وصل رسول الله ﷺ أيضاً إلى بني قريظة وتوقف عند بئر أنا في سفح بني قريظة بالقرب من حصنهم.

حيث اجتمع جميع الصحابة عند رسول الله ﷺ إلى وقت العشاء، وأرسل سعد بن عبادة جملاً محملاً بالتمر للنبي ﷺ والمسلمين. في ذلك اليوم، قال رسول الله ﷺ: ما أطيب التمر طعاماً.

محاصرة المسلمين لبني قريظة: تقدم رسول الله ﷺ وقت السحور ووضع كتيبة الرماة في المقدمة. وتبادلوا السهام حتى المساء، ثم طلب بنو قريظة المفاوضة. فأرسلوا نباش بن قيس إلى النبي ﷺ، فقال لرسول الله ﷺ أن يسمح لهم بالمغادرة كما غادر بنو النضير، وأن يأخذ الأموال والأسلحة ويعفو عن دماءهم، وسنخرج من مدينتك مع نسائنا وأطفالنا، رفض رسول الله ﷺ وقال إنه يجب عليهم العمل بحكمه ﷺ، لكنه رفض ذلك وعاد إلى قومه.

عندما عاد نباش إلى قومه وأخبرهم بكل ما حدث وطالت المحاصرة، خاطب كعب بن أسد، زعيم بني قريظة، قومه قائلاً: والله لقد نزل بكم بلاء ترونه. وإني عارض عليكم ثلاثة أمور فاقبلوا ما شئتم منها. نطيع محمداً (ﷺ) ونصدقّه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، فإن أبيتم عليّ هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصليتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد (ﷺ)، فإن هلك هلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن ظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء، فإن أبيتم عليّ هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة.

وهكذا رفضوا مقترحات كعب الثلاثة ولم يقبلوا أي واحد منها.

ثم قال يهودي آخر وهو عمرو بن سعدى: يا معشر يهود، إنكم قد حالتم محمداً على ما حالتموه عليه، فنقضتم عهده الذي كان بينكم وبينه، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية. فقالوا:

القتل خير من ذلك، فقال عمرو: فإني بريء منكم، وجاء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر شأنه لرسول الله ﷺ. فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه.

وهكذا، بعد سماع كلمات كعب هذه، نزل ثلاثة أشخاص آخرين من الحصن في تلك الليلة نفسها، واعتنقوا الإسلام، وبالتالي أنقذوا نفوسهم وعائلاتهم وأموالهم.

واقعة أبي لبابة، لما شدد النبي ﷺ على حصون اليهود وضيق عليهم الحصار بعثوا إلى النبي ﷺ ليلة السبت أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا - وكان ومن وجهاء الأوس حلفاء بني قريظة - فأرسله رسول الله ﷺ إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم، وقال له كعب بن أسد الذي دبر هذه المكيدة: إنا قد اخترناك على غيرك، إن محمداً قد أبي إلا أن نترل على حكمه أفترى أن نزل على حكمه؟ قال نعم وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح. قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله ﷺ، فندمت على أنني أشرت هكذا، واسترجعت، فترلت وإن لحيتي لمبتلة من الدموع، والناس ينتظرون رجوعي إليهم حتى أخذت من وراء الحصن طريقاً أخرى، حتى جئت إلى المسجد، ولم آت رسول الله ﷺ فارتبطت بأحد الأعمدة عقاباً لي، وقلت لا أبرح من مكاني حتى أموت أو يتوب الله علي مما صنعت، وعاهدت الله تعالى بالأطأ أرض بني قريظة أبداً ولا أرى في بلد خنت الله تعالى ورسوله ﷺ فيه أبداً.

سيدنا أبا لبابة بقي مربوطاً لست ليال حتى أنزل الله تعالى آية عن توبته: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فلما جاء رسول الله ﷺ لصلاة الفجر، فك وثاقه بيده المباركة.

ثم حث حضرته الأحمديين على الدعاء للأحمديين في باكستان وبنجلاديش، والسودان والجزائر أن يجميهم من كل شر وأن يثبت إيمانهم.

والدعاء للمسلمين، فإن الله تعالى قادر على منع أيدي الحكومة الإسرائيلية والحكومة الأمريكية والقوى الكبرى. فالقوة كلها بيده، ولكن من أجل ذلك يجب على المسلمين أيضاً أن يجعلوا أعمالهم وفقاً لرضا الله تعالى، وأن يصبحوا نموذجاً للتأخي. يجب إنهاء الخلافات الداخلية وعندها فقط سيتحقق وعد الله تعالى بالنصرة، وبدون ذلك لا يمكن أن يحدث شيء. يجب على المسلمين أن يعيشوا كمؤمنين حقيقيين.